قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني؛حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران أنموذجا

Hammamet in Algeria during the Ottoman period: Hammam of the Bey Mustafa Al-Masrati as a model

علي بوتشيشة [1] *
[1] معهد الآثار - جامعة الجزائر 2- الجزائر.

Key words:
Islamic architecture
The Ottoman era
Algeria
Islamic Hammamet
Hammam of the Bey
Mustafa Al Masrati.

Abstract

The Algeria has a rich material heritage, given its geographical extent on the one hand and its historical extension on the other hand, And those archaeological remains became a very important witness about the different civilizations and the periods in which the country lived., foremost among which is the Islamic civilization that spanned more than twelve centuries. The Ottoman period (1516-1830 AD) is one of the most important periods in Algeria, which resulted in many achievements in various fields, including the field of architecture in its various branches.

In this article we study a section of civil architecture, which is the Public baths that spread widely and in various Islamic cities, including the cities of Algeria, and it was considered an aspect of civilization, progress and luxury, and played important roles in urban life. Our study included two axes. As for the first, we were exposed to public baths in Islamic countries and their architectural characteristics, in addition to their importance, role and factors of their spread. On the second axis, we dealt with baths in Algeria during the Ottoman era, where we touched on its location and external appearance, in addition to its general planning and architectural units.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2022/02/11
المراجعة :2022/04/07
القبول : 2022/05/31

الكلمات المفتاحية:
العمارة الاسلامية
العهد العثماني
الجزائر
الحمامات الاسلامية
حمام الباي مصطفى المسراتي.

ملخص

تتمتع الجزائر بتراث مادي ثري، وذلك بالنظر إلى امتدادها الجغرافي من جهة والزمني من جهة أخرى، وأضحت تلك المخلفات الأثرية شاهدا غير قابل للطعن على مختلف الحضارات والفترات التي عايشتها البلاد، وفي مقدمتها الحضارة الاسلامية التي امتدت لما يزيد عن اثنتي عشر قرنا. ومن بين أهم الفترات التي مرت بها الجزائر هي الفترة العثمانية (1516-1830م) والتي تمخض عنها عديد الإنجازات وفي مختلف الميادين ومن بينها ميدان العمارة بمختلف تفرعاتها.

نتناول في هذا المقال جانبا من العمارة المدنية ممثلة في الحمامات العامة التي اكتظت بها مختلف مدن الإسلامية ومن بينها مدن الجزائر، وعُدت أحد مظاهر التحضر والتقدم والرفاه، وأدت أدوارا مهمة في الحياة الحضرية. وقد تضمنت دراستنا محورين؛ أما الاول فتعرضنا فيه للحمامات العامة في البلاد الاسلامية وما تميزت به من خصائص معمارية فضلا على أهميتها ودورها وعوامل انتشارها. وتناولنا في المحور الثاني الحمامات بالجزائر خلال العهد العثماني حيث تطرقنا لموقعها ومظهرها الخارجي إضافة إلى تخطيطها العام ووحداتها المعمارية. مستشهدين في دراستنا بأحد أهم النماذج منها وهو حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران.

* Corresponding author at: Institute of Archeology - University of Algiers 2. ALGERIA.
Email : ali.boutchicha@hotmail.fr

1ـ مقدمة

تعتبر عمائر العصر العثماني بمختلف أنواعها بالجزائر هي الأكثر عددا بين عمائر العصور السابقة التي مازالت قائمة لطول أمد العصر العثماني وقرب العهد منه، وهو الأمر الذي نلاحظه في العديد من الدول التي خضعت للحكم العثماني على غرار تونس ومصر وبلاد الشام عموما، وقد مثلت تلك الآثار الشاهد المادي الأبرز - الذي لا تخطئه العين- الدال على الامتزاج الحضاري والثقافي بين الأتراك والسكان المحليين.

ومع ذلك وبالرغم مما طال عمائر العهد العثماني بمدن الجزائر عموما من تخريب وهدم، فإن ما تخلف منها يُعد من الشواهد الأثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة، سواء تعلق الأمر بالعمائر الدينية أو بالعمائر العسكرية أو بالعمائر المدنية ومنها الحمامات.

والجدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في الجزائر على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كُتِبَ عنه أو ما تَخلف عن ذلك العهد، ذلك أن الدراسات التي أُنجزت في هذا المجال من قبل الفرنسيين على وجه الخصوص أهملت تلك الفترة، ومن جهة أخرى فقد قام المحتل بحملة هدم واسعة جدا طالت معظم ما بني خلال هذا العهد. ومن بين هذه العمائر التي طالها الهدم نجد الحمامات العامة، ومع ذلك فإن ما تخلف منها ببلادنا أمكننا من استخلاص أهم خصائصها المعمارية وحتى الفنية.

والسؤال الذي يطرح؛ هل لهذه الحمامات من خصوصية ميزتها عن باقي حمامات البلاد الاسلامية؟

2. أهمية الحمام في المجتمع الإسلامي

أدت الحمامات دورا مميزا في حياة المجتمع خلال العهود الاسلامية المختلفة فكانت إلى جانب الجوامع والمدارس ودور الحكم والأسواق؛ النواة الرئيسية لنشأة المدن والإسلامية، وقد ورث المسلمون فكرة الحمام عن الحضارات السابقة ولاسيما الحضارتين الرومانية واليونانية، ثم ما لبثوا أن صاغوا الحمام صياغة معمارية تتوافق ومبادئ الإسلام وقيمه الروحية (**عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، 2007، **صفحة** 17).

فمن أدواره المهمة في المدينة الاسلامية النظافة والتطهر وهو الدور الرئيسي له؛ كما ارتبط وجوده أيضا بعدة مناسبات اجتماعية كالزواج والولادة والختان (**طاهر، يوسف، و العمري**، 2006، **صفحة** 244) وكان مكانا للالتقاء والتعارف وتجاذب أطراف الحديث والمؤانسة، وبالتالي لم يقتصر دوره على الجانب الديني المتمثل في ضرورة التطهر والاغتسال ولا على الجانب الصحي كالنظافة والاسترخاء، بل تعداه إلى جوانب أخرى اجتماعية واقتصادية وغيرها (**العودي**، 2009، **صفحة** 213).

وبالمجمل فإنه يمكن أن نلخّص الأسباب التي تدعو لزيارة الحمّام ما يلي :

- "تأدية فروض الوضوء والتخلص من الجنابة قبل الصلاة.
- مكان لعقد الصفقات التجارية.
- خدمة الاغتسال للمسافرين والغرباء عن المدينة.
- خدمة الاغتسال للعاملين في المهن اليدوية قبل الذهاب إلى منازلهم.
- للاحتفالات الخاصة، إذ يعتاد البعض على زيارة حمّامات معينة لاحتفالات محددة.
- زيارة بعض الحمّامات التي يعتقد بارتباطها ببعض الأولياء الصالحين.
- الوثوق من إمكانية توفر المياه بشكل دائم.

وعلى مستوى الحي فتكون الحمّامات :

- مكان ملحق بالمسجد لتأمين الوضوء والطهارة وخاصة قبل صلاة الجمعة.
- نقطة لقاء مركزية في الحي لوجود الفرن والسبيل في أغلب الأحيان بجوار الحمّام للاستفادة من الحرارة والنار ومن توفر المياه.
- مكان لاجتماع دوري لأهل الحي وخاصة النساء.
- مكان للتباهي بالمكانة الاجتماعية.
- مكان لتبادل الآراء أو لنقل المعلومات والشائعات.
- مكان للاغتسال والنظافة لعدم توفر الإمكانية في المنازل أو لاكتظاظ المسكن.
- مكان للاستجمّام وللحصول على المنفعة الطبية خاصة بعد المرض.
- مكان للاهتمام بالبشرة وللتجميل أو للتحضير للزواج.
- مكان للبحث عن خطيبة.
- مكان للاحتفالات العائلية كحفلات قبل الزواج أو بعد الولادة والختان وغيرها.
- مكان دافئ في الشتاء، وتتوفر فيه المياه الساخنة في كل الأوقات" (**أبو خاطر رولي**، 2014).

3. عوامل نشأة وانتشار الحمامات في الحضارة الاسلامية

لقد تعددت الدوافع والأسباب التي شجعت المسلمين على إنشاء الحمامات وبتلك الكثرة، وكان أولها دعوة الإسلام إلى التطهر والاغتسال وأمره بالنظافة والتجمل، غير أن هناك عامل آخر قد لا يقل أهمية عن الدافع الأول، فكان لعدم قدرة عامة المسلمين - لاسيما منهم الفقراء- على تضمين مساكنهم حمامات خاصة دافع حفز الحكام وحتى الأثرياء على إقامة

هذه المنشأة العمومية، وكثيرا منها كان وقفا على المساجد، فكانت المنفعة كثيرة ومزدوجة.

وظل ارتياد الحمامات العامة سمة بارزة في المجتمع الإسلامي وفي مختلف الأزمنة والأمكنة وهو ما ساهم في انتشارها بصفة ملفتة، وكان هذا الإقبال الكبير على الحمامات غير مقتصر على الطبقة العامة دون سواها، بل تجاوزها إلى طبقة الأثرياء وحتى الأمراء والحكام، ولم يستثن منها أهل الذمة (**عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، 2007، **صفحة** 18)، كما كان التردد على الحمامات متاحا للرجال والنساء على حد سواء، فكانت بعض الحمامات تخصص أوقاتا خلال النهار للرجال وأوقاتا أخرى للنساء، وكان البعض الآخر يخصص أياما معلومة للرجال وأياما معلومة أخرى للنساء، كما اشتملت بعض الحمامات -وإن كانت قليلة- على قسمين؛ قسم خاص بالرجال وقسم خاص بالنساء، لكل منهما مدخله الخاص ووحداته المعمارية المنفصلة، فيما عدا الفرناق (المستوقد) فإنه غالبا ما يكون مشتركا (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 508).

ومما ساعد أيضا على انتشار الحمامات بمدن البلاد الاسلامية كونها كانت تأتي على رأس المنشآت الوقفية التي يتم حبسها على المساجد، فيصرف من دخلها على عمارة هذه المساجد وصيانتها وصرف الرواتب على أئمتها ومؤذنيها وجميع القائمين عليها.

وبازدياد عدد سكان المدن الاسلامية تضاعفت الأحياء والحارات أمر فرض بناء حمامات جديدة وكلما تطلب الأمر، ولا غرابة أن نجد في بعض الحواضر الكبرى عدد الحمامات عُدَّ بالعشرات كما كان الحال في بغداد وقرطبة وغيرهما.

4. الخصائص العامة للحمامات الإسلامية

كانت الحمامات الأولى في الإسلام ملحقة بالأبنية السكنية وخاصة القصور منذ العصر الأموي، ثم عملت الحمامات العامة بعد ذلك في أحياء المدن الإسلامية (**رزق**، 2000، **صفحة** 84 و85).

من أشهر هذه الحمامات وأقدمها في الحضارة الإسلامية نجد حمام قصير عمرة(712-715م) وحمام الصرخ (725-730م) والذي يشبه في تخطيطه حمام قصير عمرة. (**حسن**، 1981، **الصفحات** 48-44)

وقد حافظت الحمامات المبكرة في الإسلام على نفس التكوين الذي عرفته الحمامات اليونانية والرومانية وهو القاعات الثلاثة؛ الباردة والدافئة والحارّة واستمرت كذلك في العهود التالية، إلا أنها خضعت للمبادئ الإسلامية الجديدة (**شافعي**، 1970، **صفحة** 107) وصِيغت صياغة معمارية مختلفة، حيث اختفت أحواض السباحة والرسوم الجدارية (**العودي**، 2009، **صفحة** 208) واختلف بالتالي دورها؛ "فهي لم تكن مظهر حضارة وترف فقط، بل ضرورة أوجبتها فريضة التطهر والاغتسال في الإسلام. بينما كانت قبل ذلك مكانا يلتقي فيه عليّة القوم للهو والتسلية والمتعة والترفيه" (**رزق**، 2000، **صفحة** 86) وكانت محصورة بالتالي في طبقة دون سواها وهي طبقة الأثرياء ونخبة المجتمع عكس البلاد الاسلامية الذي كان فيها الحمام مفتوحا للجميع، وهذا ما يفسر العدد الكبير من هذه المنشآت التي بُنيت في المدن الاسلامية لدرجة أنها تجاوزت الألف في بعض الحواضر، وكان من أهم مواصفاتها أنها تتوسط المدينة (**مبيضين**، 2009، **صفحة** 167).

ومن جهة أخرى كانت الحمامات الإسلامية العامة تُبنى وفق معايير مضبوطة؛ فمساحتها يجب أن تكون معتبرة حتى يصير هواءها كافيا وصافيا وليس قليلا ومتكدرا، وفي المقابل اشترط أن لا يكون الحمام مفرط السعة حتى يعد بالإمكان تسخين ماءه وهواءه بسهولة ويسر (**المناوي**، 1987، **صفحة** 57 و58).

وقد رُوعي في بناءها أن لا تكون ملاصقة لجدار القبلة ولا خلفه مباشرة في أي مسجد، كما اشترط الفقهاء أن لا تبنى الحمامات في دروب ضيقة غير نافذة لما قد تسببه من ضرر لساكني الحارات المشرفة على هذه الدروب جراء كثرة المترددين عليها، وقد منع الفقهاء أيضا بناء حمام محدث قريبا من حمام قديم مما قد يضر بهذا الأخير فيقل دخله، فجاءت الحمامات في المدن الإسلامية متباعدة عن بعضها (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 510 و511).

ومما تميزت به الحمامات الإسلامية أن مداخلها بنيت مُنَكَبة بالنسبة للمنشآت السكنية المقابلة، فلا يكون مدخل الحمام مقابلا أبدا لمداخلها حفاظا على الحرمة والخصوصية، كما جعلت مداخل الحمامات منكسرة. أما بالنسبة للنوافذ فكانت قليلة ونادرة واستعيض عنها بفتحات صغيرة عملت في القباب والأقبية، غُشيت بالزجاج الملون لإضفاء مظهر زخرفي جميل يدخل البهجة على قلوب المستحمين (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 516 و517)

وعموما فقد تطورت الحمامات في العصر الإسلامي تطورا ارتبط بأحكام الدين التي تتصل بعضها بطهارة الماء وتنظيم استخدام الحمامات تنظيما يحقق مبدأ الخصوصية (**عثمان**، 2001، **صفحة** 279)، وبالتالي اختلفت في الكثير من مواصفاتها عن الحمامات الرومانية واليونانية شكلا ومضمونا.

ونشير أن المغرب الأوسط (الجزائر) خلال الفترة الوسيطة عرف حمامات لا يبدو أنها تختلف كثيرا عن حمامات الفترة العثمانية بالجزائر من حيث تركيبتها المعمارية، فحمام سيدي بومدين على سبيل المثال الذي يرجع إلى الفترة الزيانية يتكون من قاعة انتظار في شكل رواق يتقدم قاعة لخلع الملابس ذات قبة، تليها القاعة الباردة فالدافئة ثم الحارّة، أما الفرناق فيقع خلف القاعة الحارة وله مدخله الخاص الذي يقع بعيدا عن المدخل الرئيسي للحمام، أما حمام الصباغين فهو الآخر لا يختلف في كثير عن الحمامات الإسلامية عموما، إذ يتركب من قاعة انتظار تلي المدخل مباشرة والتي منها نصل إلى

القاعة الباردة ذات القبة المضلعة والمحاطة بأروقة من جميع الجهات، ومن هذه القاعة يمكن الولوج إلى مختلف القاعات ومنها القاعة الحارة (**موساوي**، 1991، **الصفحات** 85-96)

وذات التخطيط نلاحظه في حمامات المغرب الأقصى خلال الفترة المرينية، إذ كان الحمام يتكون من عدة وحدات رئيسية تتقدمها قاعة الإستراحة (الجلسة) التي تحتوي على عدة مصاطب للجلوس، تليها القاعة الباردة ذات الشكل المستطيل، تأتي بعدها القاعة الدافئة (الوسطى) والتي تليها مباشرة القاعة الحارة وخلفها تقع حجرة الفرناق (**سالم**، 2011، **صفحة** 172 و173) ويعد هذا النظام ذو التخطيط المحوري المتوازي الأكثر انتشارا في بلاد المغرب الإسلامي عموما منذ عهد الخلافة الأموية، واستمر مُتبعا فيما بعد دون تغيير كبير يذكر (**سالم**، 2011، **صفحة** 174).

ونشير أن الحمام بالمغرب الإسلامي عموما والذي يعتبر من العناصر الأساسية في الحياة الحضرية، له تصميم لا يختلف كثيرا عن التصاميم المشرقية (**الوزان**، 1983، **صفحة** 229)، ولاسيما وأن هذه المباني العامة كانت تبنى وفق معايير وضوابط واحدة محددة سلفا (**المناوي**، 1987، **الصفحات** 63-57). ومن ذلك أن مساحتها يجب أن تكون معتبرة حتى يصير هواءها كافيا وصافيا وليس قليلا ومتكدرا، وفي المقابل اشترط أن لا يكون الحمام مفرط السعة حتى يعد بالإمكان تسخين ماءه وهواءه بسهولة ويسر (**المناوي**، 1987، **صفحة** 57 و58).

غير أن "مارسي" يرى خلاف ذلك فيعتقد أن الحمام ببلاد المغرب يختلف عن نظيره بالمشرق خصوصا من حيث عناصر التهوية والإضاءة، ومن مميزاته كما يؤكد ذلك أنه دون نوافذ ولا يتلقى الضوء إلا من خلال ثقوب من القرميد مفتوحة في الأقبية عامة (**Marçais, 1975, p. 215**)، إلا أن هذه الخاصية وجدت هي أيضا ببلاد المشرق ومنها مصر خلال الفترة العثمانية (**عثمان**، 2001، **الصفحات** 303-317). هذه الأخيرة التي لم يختلف حمامها في تركيبته المعمارية عن حمامات الجزائر إبان ذات الفترة؛ حيث تشكل من ثلاثة أقسام رئيسية يتقدمها مدخل منكسر ومن خلاله نصل إلى القاعة الباردة المسماة بـ"المسلخ" أو"المشلح" والقسم الثاني المسمى بـ"بيت أول" والقسم الثالث الذي عرف باسم "بيت حرارة ثاني" إضافة إلى الفرناق أو "المستوقد" وربما تميزت حمامات مصر عن باقي الحمامات بتوفرها على نافورات بداخل حجراتها واحدة نجدها تتوسط القاعة الباردة وأخرى تتوسط القاعة الحارة، إضافة على تضمنها لأحواض مائية (مغاطس) (**عبد الحفيظ، حمامات الإسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، 2007، **صفحة** 26).

5.الحمامات العامة بالجزائر خلال الفترة العثمانية

كان عدد الحمامات في الجزائر كثيرا قبيل الاحتلال الفرنسي وهذا ما يشهد به قنصل أمريكا "شالر" الذي أقام بمدينة الجزائر مدة طويلة (1816-1824م)، حيث يؤكد أنها كثيرة وأن الإقبال عليها كبير (**شالر**، 1982، **صفحة** 99)، فلا يكاد يخلو منها حي من أحياء مدن الجزائر لاسيما الحواضر منها كالجزائر وقسنطينة ووهران وتلمسان ومعسكر ومستغانم والمدية، وهو الأمر الذي كان عليه الحال في باقي حواضر ومدن البلاد الاسلامية.

1.5. موقع الحمامات

كانت الحمامات العامة بمدن الجزائر خلال الفترة العثمانية تقع إلى القرب من المساجد ووسط الأحياء السكنية كما كانت تجاور الأسواق والمحلات التجارية، وهو ما نراه بحمامات مدن الغرب عموما على غرار وهران ومعسكر ومستغانم ومازونة (**خروبي**، 2012، **صفحة** 68 و73 و78 و88 و95) وحمامات مدينة البليدة التي ترجع إلى القرن الـ13هـ/19م (**حضري**، 2009، **صفحة** 72). إضافة إلى حمام سوق الغزل بقسنطينة الذي أقيم أسفل الجامع الذي يحمل ذات الاسم (**عبد القادر**، 2010، **صفحة** 461)، بالإضافة إلى حمامات مدينة الجزائر على غرار مسجدي سيدي رمضان وسيدي عبد الله أين أقيما إلى جوار كل منهما حمام. وكان الحمام خلال العهود الاسلامية المختلفة سواء في المشرق أو المغرب عادة ما يبنى إلى جوار الجوامع والمساجد (**مالدونادو**، 2008، **صفحة** 381 و382).كما كانت تبنى الحمامات أحيانا عند مداخل المدن لكثرة ما يتردد عليها من التجار القادمين من خارجها.

2.5. واجهات الحمامات

لقد تميزت الحمامات في الجزائر خلال العهد العثماني عموما بواجهاتها الصماء والخالية من الفتحات والزخارف باستثناء واجهاتها الرئيسية الذي يفتح بها المدخل الرئيسي المتوج أحيانا بعقد، الذي قد يكتنفه عمودان، كما نجد فتحات ضيقة على مستوى مرتفع، إضافة إلى النوافذ التي تفتح في جدران أو بطن قبة القاعة الباردة والتي يمكن رؤيتها من خلال السطح. ومما يجب التذكير به أننا لا نكاد نرى من واجهات بعض الحمامات إلا الواجهة الرئيسية، أما بقية الواجهات فتكون عادة محجوبة بفعل البنايات الملاصقة للحمام.

الصورة 1: حمام البركة بمازونة

المصدر: (**بلجوزي**، 2006)

وعموما فإن الحمام الإسلامي يتميز بنظام تصميمه المغلق حيث أنه عديم الاتصال بالخارج إلا من خلال المدخل وبعض الفتحات العلوية في قبابه التي تسمح بنفاذ الضوء فقط، دون الرؤية والتهوية (**طاهر، يوسف، والعمري**، 2006، **صفحة** 510). أما واجهاته فتميز بالبساطة وندرة الزخارف أو انعدامها في أحيان كثيرة (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 521).

ومن جهة أخرى فقد بنيت بعض الحمامات في مستوى منخفض عن أرضية ما يحيط بها من بنايات فلا يكاد يظهر منها إلا مدخلها، على غرار حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران الذي ينخفض عن أرضية جامع الباي محمد بن عثمان القريب منه بنحو خمسة أمتار. وعادة ما يلجأ المعمار إلى ذلك رغبة منه في الحفاظ على حرارة الحمام الداخلية وعدم تسربها، كما يحافظ على حبس التيارات الهوائية الداخلية بها والحيلولة دون تسرب الخارجية منها الى الداخل (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 506).

3.5.مداخل الحمامات

يتم الولوج إلى هذه الحمامات عبر مدخل رئيسي يحتل أحد طرفي الواجهة الرئيسية في الغالب، في حالات جد نادرة قد يحتل المدخل محور الواجهة الرئيسية كما نراه في حمام بوعلام بن شريفة بالبليدة (**حضري**، 2009، **صفحة** 81)، نصل من خلاله وعبر ممر منكسر إلى سقيفة مجهزة بمصاطب حجرية تستخدم للجلوس والانتظار، وقد تتوفر بعض الحمامات على أكثر من سقيفة كما هو الحال بالنسبة لحمام الباي بمعسكر (**خروبي**، 2012، **صفحة** 79) وحمام بوعلام بن شريفة بالبليدة (**حضري**، 2009، **صفحة** 62)، حيث ضمّ كلاهما سقيفتين اثنتين.

وكان لعمل الممر المنكسر- أهمية معتبرة؛ فهو من جهة يحجب أنظار المارّة عن المستحمين بداخل الحمام، ومن جهة ثانية يحول دون مرور التيارات الهوائية القوية المؤذية للصحة، ويحافظ من جهة ثالثة على حرارة الحمام (**عثمان**، 2001، **صفحة** 295).

والمدخل المنكسر -الذي هو عبارة عن ممر يمتد من المدخل ويفضي إلى داخل المبنى بصورة غير مباشرة من خلال عمل انكسار فيه أو انعراج- تم اعتماده في جميع الحمامات العامة ببلاد المسلمين وفي مختلف الأزمنة كما عرفته الدور السكنية بدون استثناء.

الصورة 2: مدخل حمام شارع الباي بالبليدة

المصدر: (**حضري**، 2009)

وإلى جانب المدخل الرئيسي المخصص لرواد الحمام؛ نجد مدخلا ثانيا غالبا ما يكون موضعه بعيدا عن المدخل الأول وهو الخاص بالفرناق (المستوقد) يستخدمه العمال القائمين على هذا القسم الهام من الحمام دون سواهم، وكان يقصد من إقامته في مكان بعيد ومنعزل تفادي انتقال الدخان والروائح الكريهة المنبعثة عادة منه إلى داخل المبنى (**المناوي**، 1987، **صفحة** 60 و61).

وبالحديث عن الحمامات خلال العهود الاسلامية المختلفة ومنها الفترة العثمانية بالجزائر فإن مقاييس مداخلها الرئيسية جاءت صغيرة ووفق المعايير الإنسانية إذا ما قورنت بمداخل القصور والدور، وذلك لعدم الحاجة لجعلها أكثر اتساعا وارتفاعا، وللمحافظة على حرارة الحمام الداخلية وستر من بداخلها قدر الإمكان، وكذلك الحال بالنسبة للمداخل الثانوية الداخلية خاصة مداخل المقصورات (الخلوات) التي جاءت بمقاييس أصغر في اتساعها وارتفاعها توفيرا للحرارة وحفظا لخصوصية من بداخلها من الزبائن. وعادة ما كانت مداخل الحمامات -فضلا على بساطتها- تبنى على سمت حائط الواجهة دون بروز أو ارتداد للداخل.

أما مدخل الفرناق فالغالب أن يكون أكثر اتساعا من غيره من المداخل ذلك لارتباطه بإدخال الوقود إليه لاسيما الحطب من جهة، ولانعزاله عن باقي وحدات الحمام الأخرى انعزالا تاما (**عثمان**، 2001، **صفحة** 297)، أمر يجعل اتساعه غير مؤثر البتة تأثيرا سلبيا على الحمام أو رواده، وهو الأمر الذي وقفنا عليه في حمامات وهران ولا سيما حمام الباي مصطفى المسراتي.أما من الناحية المعمارية والزخرفية فقد تميزت مداخل الفرناق ببساطتها المتناهية.

4.5. التصميم المعماري للحمامات العامة وأقسامها الداخلية

حافظت الحمامات خلال الفترة العثمانية بالجزائر على نفس التركيب المعماري المشكل من الأقسام الثلاثة؛ وهي القاعات الباردة والدافئة والحارة، إضافة إلى السقيفة والفرناق، مع اختلاف في بعض التفاصيل، ومن ذلك أن تلحق بعض الغرف بالأقسام المذكورة دون أن يكون لها تأثير كبير على التركيب المعماري للحمام. ومن بين هذه الحمامات نذكر حمام سيدنا وحمام الجيش بالقصبة (**موساوي**، 1991، **صفحة** 122 و131) وحمام قصر عزيزة وحمام قصر حسن باشا (**عقاب**، 1985، **صفحة** 88 و89) وحمام الشيخ وحمام دار الباي بمليانة (**قرمان**، 2007، **الصفحات** 102-98) وحمام العرب (المور) بمستغانم (**بلجوزي**، 2006، **صفحة** 86) وكذلك كان الحال بالنسبة لحمام الباي مصطفى المسراتي بوهران (**بوتشيشة**، 2016، **صفحة** 310).

يلي مدخل الحمام عادة سقيفة هي عبارة عن حجرة صغيرة أقيم على جانبيها مصاطب (دكانات) للجلوس قد تتخللها أعمدة كما نراها في حمام الباي مصطفى المسراتي كانت بمثابة قاعة انتظار للداخل واستراحة للمستحم قبل المغادرة

رغبة في تقليص الفارق بين حرارة الجو الخارجية وحرارة الحمام الداخلية، علما أن هذه السقيفة التي تتقدم القاعة الباردة فقدت معالمها المعمارية في معظم الحمامات الأخرى.

المخطط1: حمام الباي بمعسكر

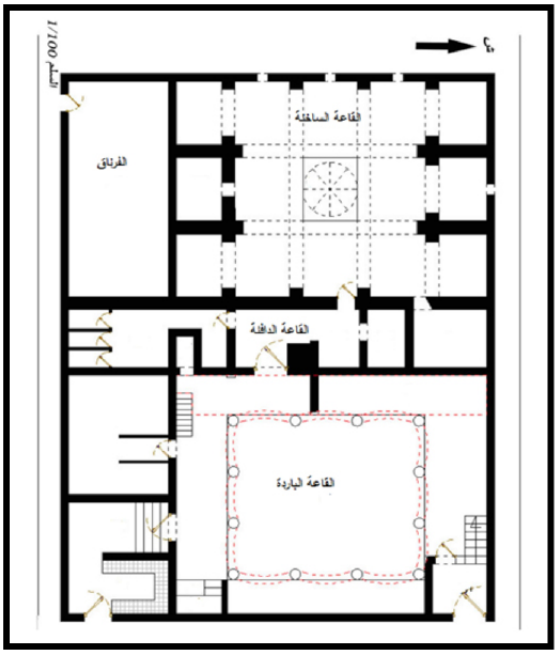

المصدر: (**بلجوزي**، 2006)

يلي السقيفة القاعة الباردة التي عرفت تسميات عديدة وهي المسلخ والمشلح والبراني والبيت البارد وذلك حسب اختلاف المناطق والبلدان.

وعادة ما تكون القاعة الباردة في حمامات الفترة العثمانية بالجزائر العامة ذات مساحة كبيرة وتأخذ أشكالا متعددة، كما تشتمل غالبا على أروقة، بعضها مغطاة بقبة مضلعة كبيرة تفتح بها العديد من النوافذ للإضاءة والتهوية على غرار حمام سوق الغزل بقسنطينة (**دحدوح**، 2010، **صفحة** 549) وبعضها الآخر ذات سقف خشبي هرمي كما في حمام بن البجاوي بقسنطينة (**دحدوح**، 2010، **صفحة** 549) وبعضها الآخر ذات سقف مستو مثل حمام شارع رنجة بالبليدة (**حضري**، 2009، **صفحة** 66)، وقد أقيمت على جوانبها مصاطب لاستراحة المستحمين تكون مغطاة في العادة بوسائد، مع العلم أن هذه القاعة كانت تستخدم لاستبدال الملابس أيضا.(دورها

أما القاعة الدافئة فهي في العادة تتوسط القاعة الباردة والقاعة الحارة، قد تأخذ شكلا مستطيلا أو مربعا أو شكلا قريبا من ذلك، ذات مساحة صغيرة، تحتوي بداخلها على كنيف أو أكثر، تغطى بأقبية أسطوانية أو متقاطعة، ذات فتحات دائرية صغيرة تعشق بالزجاج المكثف بحيث تسمح بمرور الضوء دون الرؤية والهواء.

ويبدو أن بعض حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية ضمّت قاعة إضافية تتوسط القاعة الدافئة والقاعة الحارة على غرار حمام سوق الغزل وحمام بن البجاوي بقسنطينة (**دحدوح**، 2010، **صفحة** 464 و470 و471)

وتأخذ القاعة الحارة أشكالا مختلفة بين حمام وآخر، غير أن القسم الأوسط منها كثيرا ما يأخذ الشكل المربع كما كان الحال بحمام الباي مصطفى المسراتي وحمام قصر الباي محمد الكبير بوهران وحمامات مدينة الجزائر، وأما مساحة القاعة فكانت معتبرة، مغطاة بقباب أو أقبية - والتي كانت تزيد لاسيما بالنسبة للقاعة الحارة على ارتفاع المبنى، وهذا الارتفاع مطلوب؛ فهو يساعد على استيعاب كمية بخار الماء المتصاعدة فتقل كثافته ويصفو خلال صعوده فيتحول إلى هواء (**المناوي**، 1987، **صفحة** 57)، علما أن القباب والأقبية تتخللها فتحات للإضاءة معشقة هي الأخرى بالزجاج. وتتوفر القاعة الحارة في العادة على حجرة صغيرة عبارة عن خلوة أو مقصورة تحتل أحد الأركان خاصة باستكمال عملية الاغتسال، كما هو الحال بحمام القايد بمازونة وحمام الباي بمعسكر (**خروبي**، 2012، **صفحة** 72 و76) وحمام شارع رنجة وحمام شارع الباي بالبليدة (**حضري**، 2009، **صفحة** 68 و138) وحمام الشيخ بمليانة (**قرمان**، 2007، **صفحة** 101) وحمام بن البجاوي بقسنطينة (**دحدوح**، 2010، **صفحة** 471 و472).

ومما تميزت بعض حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية هو اعتمادها على التخطيط الإيواني في بناء القاعة الحارة، حيث تشرف هذه الإيوانات على مركز القاعة وتفتح بكامل اتساعها عليها كما هو الحال بالنسبة لحمام الباي مصطفى المسراتي بوهران حيث اشتملت قاعته الحارة على أربعة أواوين تتخللها أربع مقصورات (المخطط3)، وهي ميزة عرفتها الكثير من الحمامات العامة في المدن الاسلامية ومنها مدينة حلب بسوريا (**محمد عبد الرزاق**، 2014، **صفحة** 531 و532).

وعادة ما كانت تخترق الجدران الداخلية للقاعة الحارة وبشكل أفقي ومنخفض قنوات فخارية لسحب الدخان تنطلق من الفرناق وتنتهي عند المداخن وهي ذات وظيفتين؛ حيث تحافظ على على استمرارية اشتعال الوقود والتخلص من الدخان من جهة، وتساهم من جهة أخرى في تحديد مسار حركة الهواء الحار الذي يقوم بتدفئة جدران القاعة الحارة بما في ذلك الأواوين والمقصورات (**بوتشيشة**، 2016، **صفحة** 312).

كما كان يتم تسخين القاعة الحارة من خلال قنوات خاصة معمولة من الرصاص عادة مثبتة في سمك الجدران تنتهي بصنابير، وهي التي تؤمن توصيل المياه الحارة الى القاعة الساخنة من القدر النحاسي الموضوع على النار المعروف محليا بالبرمة والموجود على مستوى الفرناق.

وقد يزيد عدد هذه الخلوات ليصل إلى أربعة كما هو في حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران، ومن جهة أخرى كانت تضم جميع القاعات الحارة في وسطها مكعبا حجريا مغطى سطحه بالرخام يدعى محليا بـ"السُرّة" أو"الرخامة" يستلقي عليه المستحمون لمزيد من التعرق. غير أنه فُقِدَ في بعض الحمامات بسبب ما طرأ عليه من التغيير خلال الحقبة الاستعمارية.

الصورة 3: رخامة حمام البركة بمازونة

المصدر: (**بلجوزي**، 2006)

وأما الفرناق فتراوح شكله عموما بين المربع والمستطيل يغطيه قبو برميلي، يقع دائما بإزاء القاعة الحارة، وهي قاعدة أساسية في تخطيط الحمامات (**عثمان**، 2001، **صفحة** 289) حتى يمدها بالماء الساخن والحرارة في ذات الوقت من خلال قنوات خاصة، له مدخله المستقل به الذي لا يرتاده سوى العمال القائمين على الفرناق، وقد تلحق به غرفة أخرى أو أكثر لتخزين الوقود الذي يكون غالبا من الحطب، ويشترط المناوي بهذا الخصوص:" ..أن يكون وقوده بما ليس فيه كيفية رديئة كالحطب الخالي عن الحدة والدخان والرائحة الكريهة، فيتجنب الزبل ونحوه من كساحة الطرق" (**المناوي**، 1987، **صفحة** 61) كما قد تستخدم مواد أخرى على غرار زبل الحيوانات بعد أن يتم تجفيفه (**الوزان**، 1983، **صفحة** 228 و229).

أما تلك الحمامات الخاصة الملحقة بالدور والقصور فكانت لا تشتمل في العادة إلا على حجرة ضيقة أشبه أحيانا بالحفرة خاصة بالفرناق وهذا في حالة وجوده طبعا، والذي يقع في الغالب مباشرة أسفل القاعة الساخنة كما في حمام دار عبد اللطيف وحمام دار الرايس حميدو وحمام دار الداي حسين (**راجعي**، 2007، **صفحة** 122 و124 و125)، إضافة إلى حمام دار عزيزة وحمام الدار الحمراء وحمام قصر البايات بمدينة الجزائر (**موساوي**، 1991، **صفحة** 156 و165 و181) وليس بجانبها كما رأينا في الحمامات العامة.

وإضافة إلى ما سبق فقد اشتملت الحمامات العامة خلال الفترة العثمانية بالجزائر على خزانات للمياه الذي يختلف موضعها ما بين حمام وآخر، إلا أن الكثير منها كان يجاور الفرناق وذلك قصد توصيل المياه بيسر داخل القدور النحاسية لتسخينها ثم نقلها إلى القاعة الحارة، أما بحمام بن البجاوي فيقع بداخل القاعة الحارة (**دحدوح**، 2010، **صفحة** 466 و554) بينما بحمام بوعلام بن شريفة بالبليدة فيقع واحد بداخل القاعة الدافئة وآخر بغرفة تبديل الملابس (**حضري**، 2009، **صفحة** 69 و70) ويبدو أن بعض الحمامات احتوت على أكثر من خزان أحدها يكون موصول مباشرة بالفرناق، وذلك لتزويد القاعة الحارة بالماء الساخن والبارد في ذات الوقت وعبر قنوات خاصة حتى وإن لم تكن هذه الخزانات موجودة اليوم.

ومما يستوقف النظر في حمامات الجزائر خلال الفترة العثمانية هو قلة اهتمام وعناية المعمار والحرفي بزخرفتها على عكس ما كان عليه الحال بالنسبة للمسجد والمسكن عموما، وهو أمر يكاد يكون معتادا في المباني العامة للعمارة الإسلامية وتحظى القاعة الباردة بالنصيب الأكبر من الزخرفة على قلتها، بينما تنعدم أو تكاد بباقي أقسام الحمام (**طاهر، يوسف، و العمري**، 2006، **صفحة** 544).

الصورة 4: القاعة الباردة لحمام شارع رنجة بالبليدة

المصدر: (**حضري**، 2009)

وبالحديث عن الحمامات في تركيا العثمانية فإنها لا تختلف عن نظيراتها سواء في الجزائر أو غيرها من البلاد الإسلامية إذ اتبع المعماريون في بناءها التخطيط التقليدي الشائع (**أصلان آبا**، 1987، **صفحة** 231) حيث تشتمل هذه الحمامات على ثلاث وحدات متتالية تقع على محور واحد وهي الوحدات الرئيسية للحمام، ويغطي المربع الأوسط قبة تتقدمها نصف قبة تغطي إيوانا بارزا، أما القاعة الحارة فذات شكل مثمن تغطيها هي الأخرى قبة، ويمتد من مثمن القاعة ذراعان متقابلان يضم كلا منهما ثلاث خلوات (مقصورات) مغطات بقباب صغيرة، وفي حالات أخرى يبرز من المثمن أربع أذرع على هيئة إيوانات تضم فيما بينها أربع مقصورات مغطات هي الأخرى بقباب صغيرة على غرار القاعة الساخنة لحمام الباي مصطفى المسراتي، ويعتبر حمام محمود باشا أقدم وأهم الحمامات الباقية بإسطنبول الذي أتبع في بناءه هذا الطراز المذكور (**الحداد**، 2002، **الصفحات** 253-255) ومن جهة أخرى ضمت بعض الحمامات بغرفتيها الباردة (غرفة تغيير الملابس) والدافئة أحواضا مائية تتوسطها نافورات (**أصلان آبا**، 1987، **صفحة** 230).

كما عرفت تونس نفس التصميم الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني حيث تَكَوَنَ الحمام من مدخل رئيسي يفضي بنا إلى سقيفة عبارة عن قاعة انتظار يغلب عليها الشكل المربع تتوزع على جوانبها مقاعد حجرية للجلوس، ومنها نصل إلى القاعة الباردة (المحرس) المسقوفة بقبة ذات فتحات للتهوية

والإضاءة وقد تضم مقصورة أو أكثر للاستراحة عقب الاستحمام، يفتح بها باب نمر من خلاله إلى القاعة الدافئة (الصفرة) وهي ملتصقة بالقاعة الحارة المسماة "العرّاقة" أو "البيت الساخنة" والتي يقع إلى جانبها الفرناق الذي ندخله عبر مدخل فرعي والمكون من موقد يُغَذَى بالحطب وقدر نحاسي لتسخين الماء (**العودي**، 2009، **صفحة** 208 و209).

6ـ حمام الباي مصطفى المسراتي

يمثل هذا الحمام أحد أهم النماذج الجيدة للحمامات الجزائرية خلال العهد العثماني لاسيما من حيث تركيبته المعمارية وموقعه ومظهره الخارجي ومواد وتقنيات بناءه، فضلا على ما اشتمل عليه من عناصر معمارية تكررت كثيرا في أغلب الحمامات الاسلامية عامة والجزائرية بصفة خاصة.

1.6ـ موقع الحمام

يقع حمام الباي مصطفى المسراتي في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة القديمة، قريبا من الضفة اليسرى لوادي الرّحي، على شارع بن عمارة المنور (Larrey سابقا) بحي سيدي الهواري، في مكان منخفض عن الأرض بنحو خمسة أمتار، يحيطه من الناحية الغربية البنايات الفرنسية وجامع محمد بن عثمان الكبير ومن الناحية الجنوبية مكاتب جمعية "صحة سيدي الهواري"، أما من الشمال فملحقات المستشفى العسكري الفرنسي والتي تستغل اليوم كورشات للجمعية المذكورة سابقا.

المخطط 2: **موقع حمام الباي مصطفى المسراتي**

المصدر: (**عن الباحث**)

2.6ـ التأسيس

بنى هذا الحمام أول البايات الذين حكموا وهران وهو الباي مصطفى المسراتي وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 1119هـ/ 1708م و1145هـ/1732م، وقد أفادتنا كتابتان تأسيسيتان - اللتان ذكرتهما عديد المصادر والمراجع- في تحديد مؤسس الحمام إلا أنهما لم تفيدانا كثيرا في تحديد تاريخ البناء بدقة، وهذا نظرا للطمس الذي مس بعض أجزائهما.

وجاء في الكتابة التأسيسية الأولى :

ـ الحمد لله

ـ إن المجاهد في سبيل (الله)

ـ السيد مصطفى باي بن يوسف

ـ أمر بتشييد هذا الحمام في سنة

ـ 11.5

وجاء في الكتابة التأسيسية الثانية ما يلي :

ـ الحمد لله

ـ إن المجاهد في سبيل الله

ـ السيد مصطفى باي بن يوسف

ـ أمر ببناء هذا الحمام في

ـ شوال من سنة 11.3

وللعلم فقد استغل خلال الفترة الثانية من الاحتلال الاسباني كسجن يتسع لحوالي 200 فرد من المنفيين الإسبان **(Hontabat, 1926, p. 214)** ليعود إلى وظيفته عقب تحرير وهران العام 1792م واستمر كذلك في بدايات الاحتلال، ثم حول كمغسل للقوات الغازية، بعد الاستقلال ناله الكثير من الإهمال وحول إلى مفرغة للقاذورات والأوساخ، وفي السنوات الأخيرة تكفلت جمعية "صحة سيدي الهواري (S.D.H)" بتنظيف الموقع والمحافظة عليه وضمّه ضمن ممتلكاتها، حيث أصبحت تقام بداخله العديد من نشاطات هذه الجمعية.

3.6ـ المؤسس

هو مصطفى بن يوسف بن محمد بن اسحاق المسراتي ثم الهواري، المعروف بأبي الشلاغم أول بايات وهران والباي السابع عشر لبايليك الغرب، تولى بايا على مازونة وتلمسان، فهو أول من جمعت له الأيالة الغربية وذلك عام 1098هـ/1686م بعد استشهاد سلفه الباي شعبان، ومن مازونة تحول إلى قلعة بني راشد ثم اتخذ معسكر عاصمة لبايليكه، ولما فتح وهران نقل مركز الحكم إليها، وعقب احتلال الإسبان للمدينة للمرة الثانية تحول إلى مستغانم وبها وافته المنية (**الزياني**، 1979، **صفحة** 192 ;193).

وقد حكم الباي البايليك مدة طويلة من الزمن قاربت النصف قرن، كان له خلالها العديد من المنجزات العمرانية والمعمارية، فبعد أن استقر به المقام بوهران شرع الباي مصطفى المسراتي في إعادة إعمار المدينة من جديد وبنى حسب اللوحات التأسيسية - التي مازال بعضها موجودا إلى اليوم- إضافة إلى قصره وحمام القصبة وحمام المدينة العام العديد من المنجزات المعمارية الأخرى في مقدمتها أقبية « Voûtes »، ومسجد وباب والأقواس التي بالرحبة التي تتقدم جامع الباي محمد بن عثمان الكبير، كما بنى المسجد الذي كان يطلق عليه مسجد

البرانية أو مسجد بني عامر عند المدخل الشرقي المعروف بباب الجيارة خارج أسوار المدينة غير بعيد عن برج الصبايحية (القديس أندريه).

كما يكون الباي قد بنى العديد من المعالم سواء بمازونة عاصمته الأولى أو معسكر عاصمته الثانية التي تحول إليها قبيل الفتح عام 1117هـ/1706م، أو مستغانم التي انسحب إليها بعد إعادة احتلال وهران من طرف الأسبان وقضى بها آخر أيامه، وفيها بنى حصن الترك والقبة الضريحية التي دفن بها.

غير أن أهم منجزات الباي الباقية هي تلك الموجودة بوهران والتي اتخذها عاصمة لبايليك الغرب ومكث بها مدة ربع قرن تقريبا، ومنها هذا الحمام الذي نحن بصدد دراسته.

4.6. الدراسة الوصفية

1.4.6. المظهر الخارجي

يتوسط الحمام مجموعة من المباني يعود معظمها إلى الفترة الاستعمارية، هي الآن عبارة عن مقر لجمعية "صحة سيدي الهواري"، ومن خلال مدخل يقع في الناحية الشرقية نصل مباشرة إلى سطح الحمام التي تبرز منه مجموعة من القباب لاسيما قبة القاعة الباردة وقبة القاعة الحارة إضافة إلى المداخن وفتحات التهوية، وقد سور من جهته الجنوبية بجدار يرتفع بـ0.75 م، ونظرا لوقوعه في مستوى منخفض من الأرض بالإضافة إلى ما أقامه المحتلون من بنايات حوله غداة الاحتلال فإنه اليوم لا يظهر منه إلا واجهته الجنوبية والتي نصلها عبر سلم هابط يحتل الركن الجنوبي الغربي من المعلم. ويبقى أن نشير إلى أن أرضية الحمام تنخفض عن السطح وعن البنايات المجاورة ومنها جامع محمد بن عثمان بنحو 5.10م.

وقد بدت هذه الواجهة جد مشوهة نظرا لما طالها من التغيير خلال فترة الاحتلال، حيث استحدثت فيها العديد من المداخل والفتحات الكبيرة لتتلاءم والاستخدامات الجديدة، ومن ذلك المدخل الذي فتح في القاعة الباردة والفتحة الكبيرة التي أحدثت في القاعة الدافئة وأخيرا الفتحة التي تمت في القاعة الحارة وجميعها استحدثت في واجهته الجنوبية.

الصورة 5: الواجهة الجنوبية للحمام

المصدر: (عن الباحث)

2.4.6. مدخل الحمام وسقيفته

يقع المدخل الأصلي في الركن الجنوبي الشرقي من الحمام، هو مسدود حاليا، ومنه نصل عبر سلم منكسر نازل إلى سقيفة مستطيلة صغيرة طولها 3.28م وعرضها 2.9م وارتفاعها 3.67م، يكتنفها من جانبها الأيمن مصطبة للجلوس معقودة بعقدين إهليليجين يقومان على عمود واحد، ويقابل المصطبة الأولى مصطبة أخرى تضم بائكة من عقدين إهليليجيين محمولان على عمود يحمل تاجا محليا، وبلطت المصطبتان ودرجات السلالم وجزء من أرضية الغرفة بحجارة كلسية مهذبة، أما السقف فجاء برميلي الشكل تتوسطه فتحة صغيرة مربعة مسدودة، ويبدو أنها كانت تستعمل للإضاءة، وقد فتحت أعلى استراحة السلم نافذة متوسطة الحجم، أما في الجدار الشمالي للغرفة ففتح مدخل يفضي إلى القاعة الباردة.

الصورة 6: سقيفة الحمام

المصدر: (عن الباحث)

3.4.6. القاعة الباردة

ذات شكل شبه مربع إذ يبلغ طولها 10.32م وعرضها 9.48م أما مساحتها فتقدر بـ97.83م2، ويتوسط القاعة صحن مربع طول ضلعه 6.24م، تحيطه ثلاثة أروقة من الجهات الشرقية والجنوبية والشمالية، مشكلة من بوائك، أما الجهة الغربية فتفتقد إلى الرواق حيث تتشكل من بائكة مصمتة.

تقوم كل بائكة على عقدين منكسرين متجاوزين محمولة على ثلاثة أعمدة كلسية ضخمة ذات أبدان أسطوانية لبعضها قواعد كبيرة مستحدثة في حين جاءت تيجانها غاية في البساطة تتكون من عدة حلقات.

يغطي صحن القاعة قبة كبيرة ثمانية الأضلاع، يتراوح طول أضلاعها ما بين 2.80 و2.90م، ويبلغ قطرها 6.25م في حين يصل ارتفاعها عند مفتاحها إلى 7.70م، فتح في أضلاعها نوافذ للإضاءة مستطيلة الشكل معقودة بعقد وتري، كم فتح عند المفتاح نافذة أخرى مستديرة في شكلها، أما منطقة انتقال القبة فقامت على مثلثات ركنية مسطحة عاطلة عن الزخرفة، أما الأروقة فغطي الشمالي منها والشرقي بأقبية متقاطعة بينما

غطي الجنوبي بسقف نصف برميلي. بلطت أرضية القاعة كم هو ظاهر بحجارة مصفحة متباينة المقاسات.

يوجد في ركنها الجنوبي الغربي غرفة جد صغيرة طولها 2.84م وعرضها لا يتعدى 0.55م قد كانت تستخدم على ما يبدو ككنيف خاص بنزلاء الحمام.

المخطط 3 : **حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران**

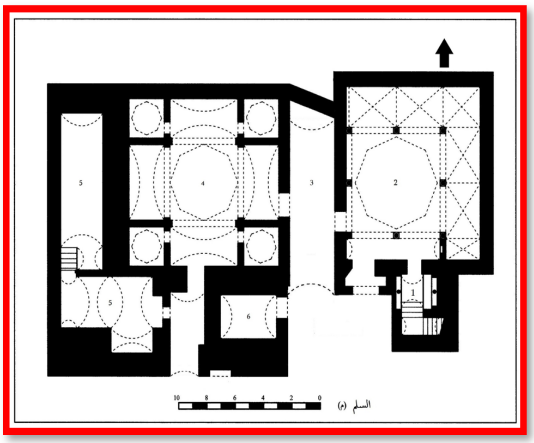

1- السقيفة 2- القاعة الباردة 3- القاعة الدافئة 4- القاعة الساخنة
5- الفرناق (المستوقد) وملحقاته 6-حجرة.

المصدر: (عن الباحث)

وعلى غرار الحمامات الجزائرية خلال الفترة العثمانية فقد كانت تقوم مصاطب في هذه القاعة، غير أننا لم نعثر إلا على بعض الدلائل الأثرية الدالة على وجودها فعلا ومنها آثار أعمدة خشبية مقطوعة على ارتفاع 70سم في الجدار الشمالي من القاعة، وهي بدون شك شكلت الدعائم الأفقية التي كانت تقوم عليها المصطبة.

وللانتقال إلى القاعة الدافئة فتح في الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن مدخل ذو عقد موتور استخدم في بناءه الحجارة والآجر.

الصورة 7 : **جانب من القاعة الباردة**

المصدر: (عن الباحث)

4.4.6 القاعة الدافئة

تقع هذه القاعة بموازاة الجدار الغربي للقاعة الباردة تمتد من الجنوب إلى الشمال ذات شكل مستطيل تقريبا حيث يقدر طول ضلعها الشرقي بـ 10.75م والغربي بـ11.80 والشمالي بـ3.2م والجنوبي بـ3.14 م، يصل ارتفاعها إلى 3.60م لها سقف نصف برميلي فتحت به العديد من الفتحات التي كانت تستخدم للإضاءة وقد سدت جميعها خلال العهد الاستعماري، كما فتح في جداريها الشرقي والغربي عدد من الكوات اختلفت مقاساتهاويعتقد أنها كانت تستخدم لوضع المصابيح أو أغراض أخرى. وعلى غرار القاعة الباردة فقد بلطت أرضيتها بحجارة مصفحة غير موحدة المقاسات .

تفتح هذه القاعة بشكل كلي على الفناء الحالي الذي يتقدمها في الجهة الجنوبية، ذلك أن سلطات الاحتلال قامت بإزالة جدارها الجنوبي كي يتوافق واستخداماتها الجديدة، أما مدخلها الأصلي الذي يربطها بالقاعة الحارة فيقع تقريبا في منتصف جدارها الغربي اتساعه 1.55م وارتفاعه 2.05م له عقد موتور غير أصلي.

الصورة 8: **القاعة الدافئة**

المصدر: (عن الباحث)

5.4.6 القاعة الحارة

تمتد هي الأخرى بشكل موازي مع القاعة الدافئة تتخذ شكلا مربعا يتوسطها صحن يكتنفه من جهاته الأربعة أواوين، أما الأركان فتضم أربعة غرف صغيرة عبارة عن مقصورات (خلوات).

يتخذ الصحن شكلا مربعا إذ يبلغ طول ضلعه 4.50م، يشرف على الأواوين من خلال عقود نصف دائرية مفلطحة يصل اتساعه إلى ما يقارب 4.5م. تقوم العقود على دعامات مدمجة بارزة قليلا عن الجدران مشكلة في بروزها ما يشبه حرف"T" اللاتيني، ويغطي الصحن قبة ثمانية الأضلاع على غرار قبة القاعة الباردة، غير أنها غير أنها أصغر حجما، إذ يقدر قطرها بحوالي 4.50م، في حين يصل ارتفاعها عند مفتاحها إلى 5.54م، ترتكز على العقود السابق ذكرها، تقوم منطقة انتقالها على مثلثات ركنية. فتح في أربعة

من أضلاعها أربعة نوافذ تبدو حديثة، ويوجد أسفل منها أربعة أخرى مستطيلة مسدودة، نرجح أن تكون الأصلية، أما أرضية الصحن فمبلطة بتبليط حديث.

وأما الأواوين فتتخذ شكلا مستطيلا إذ يبلغ بعدي الإيوان الشرقي 4.77X2.75م والغربي 4.68X2.50م والشمالي 4.8X2.55م والجنوبي 4.8X2.55م، وجميع هذه الأواوين ذات سقف نصف برميلي فتحت به العديد من الفتحات الدائرية قصد الإضاءة هي اليوم مسدودة في أعلاها، كما تضمنت الأواوين الشمالية والجنوبية والغربية سدات. يصل ارتفاع سدة الإيوان الشمالي الغربي إلى 1 م وأما سدة الإيوان الجنوبي فتتعدى المتر الواحد نظرا لما لحقها من التغيير خلال فترة الاحتلال، ومن جهة أخرى فقد فتحت كوات في جدرانها الخارجية كما هو الشأن بالنسبة للإيوان الشمالي الذي فتحت فيه كوتان والغربي الذي فتحت فيه كوة واحدة.

الصورة 9: أحد أواوين القاعة الحارة

المصدر: (عن الباحث)

وأما الغرف التي تحتل أركان القاعة الحارة فمربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها 2.55م ندخلها من خلال مدخل ذو عقد نصف دائري، تعلو كل حجرة قبة صغيرة مثمنة الأضلاع ذات مثلثات ركنية. يصل ارتفاع هذه القباب إلى ما يقرب 3.30م، فتحت في بطون أضلاعها مجموعة من الفتحات كما فتحت واحدة كبيرة عند مفتاحها، وجميع هذه الفتحات مسدودة من الخارج، يقوم عند رقبة كل قبة من الداخل إفريز يحفها من جميع الجهات.

الصورة 10: مدخل إحدى مقصورات القاعة الحارة

المصدر: (عن الباحث)

وتجدر الإشارة أن القاعة الحارة فقدت على ما يبدو بلاطاتها الأصلية واستبدلت في بعض أجزاءها بمربعات حديثة أو طبقة إسمنتية وفي أجزاء أخرى لم نعثر على أي بلاطات تذكر.

6.4.6ـ الفرناق

يقع الفرناق في الجهة الغربية من الحمام خلف القاعة الحارة، نصل إليه بعد المرور على حجرة غير منتظمة الأضلاع تتشكل من قسمين، ندخلها من خلال مدخل ذو عقد نصف دائري يقع في جدارها الشرقي يفتح على غرفة تفضي بنا إما إلى أحد أواوين القاعة الحارة أو إلى فناء الحمام الخارجي. يبلغ اتساع المدخل 1.15م ويبلغ ارتفاعه 2م.

وفي الركن الشمالي الغربي من الحجرة يفتح مدخل اتساعه 1.12م وارتفاعه 1.92م يفضي بنا إلى حجرة الفرناق والممتدة طولا بموازاة القاعة الحارة، وذلك من خلال سلم نازل، والحجرة ذات شكل مستطيل يصل طولها إلى 11م وعرضها إلى 3م في حين يقدر ارتفاعها بـ2.90م ذات سقف نصف برميلي، بها تجويف (حنية)غائرة في جدارها الشمالي سد قسم كبير منها يعتقد أنها موقد النار حيث توضع قدر تسخين الماء (البرمة)، وعلى جهة اليمين من الموقد يوجد القنوات الفخارية لمدخنة. تنخفض هذه الحجرة عن مستوى الحمام بنحو 1.25م، فتح في جدرانها بعض الكوات الصغيرة لوضع المصابيح.

الصورة 11: الفرناق

المصدر: (عن الباحث)

بنيت القاعة بمواد بناء صلبة فجدرانها بنيت بالدبش والحجارة المهذبة وبني السقف بالآجر، وقد فصل بين الجدران والسقف إفريز مشكل من الآجر وضع بشكل أفقي ، أما الأرضية فبلطت بحجارة كلسية متوسطة الأحجام.

5.6ـ التغييرات والتجديدات

لقد فقد الحمام وظيفته الذي أقيم من أجلها منذ أن احتل الفرنسيون وهران، حيث حول إلى مغسل للقوات الغازية، ومازالت بعض التجهيزات الموجودة داخله إلى اليوم شاهدة

على ذلك.

إلا أن أكبر الضرر الذي لحق به هو ما أحدثه الفرنسيون في واجهته الجنوبية حيث أزيل الجدار الجنوبي للقاعة الدافئة والجدار الجنوبي أيضا لإحدى الغرفة المجاورة للفرناق، كما قاموا بفتح باب في الزاوية الجنوبية الغربية للقاعة الباردة ومدخل أخر في منصف جدار الإيوان الجنوبي للقاعة الحارة ومن جهة أخرى سُدّت جميع فتحات سقف الحمام وهذا بوضع طبقة سميكة من الملاط على سطح الحمام، كما يمكن أن تكون سدّت العديد من النوافذ والمداخل ولعل أهمها المدخل الأصلي للحمام.

داخل القاعات أحدثت العديد من التغييرات ولئن لم تؤثر في مخطط الحمام بصفة عامة، فإنها في المقابل أثرت في وظيفته ومن ذلك ما تم داخل القاعة الباردة حيث أزيلت جميع سداتها ومصاطبها وبلاطاتها الخزفية أو الرخامية، كما عُطِّل نظام التسخين بالفرناق ولم نعثر سوى على بعض الدلائل الأثرية الدالة على وجوده، أما قدر التسخين والأنابيب والقنوات المرتبطة به إضافة إلى الأحواض المائية وخزانات الماء وغيرها فلم نجد لها من أثر، في حين أزيل تبليط الأرضيات الأصلي بصورة شبه كاملة خاصة داخل القاعة الحارة، وأما تكسيات الجدران فلا وجود لها اليوم.

7. الخاتمة

لعل من أَبْيَنِ خصائص العمارة الإسلامية على اختلافها هو جمعها بين الوحدة والتنوع، وقد تنطبق هذه الميزة أكثر على عمارة الحمامات في البلاد الإسلامية فرغم اختلاف الأزمنة والأمكنة فإننا نلاحظ أن خصائصها تكاد تكون مشتركة ولا نلمس الاختلافات إلا في بعض التفاصيل الفرعية التي يفرضها خاصة الجانب المادي وبدرجة أقل عاملي المناخ والطبوغرافيا، إضافة إلى اختلاف بعض مسميات وحداتها وعناصرها بين بلد وآخر بل وأحيانا حتى بين مدينة وأخرى.

وحمامات الجزائر العامة خلال العهد العثماني - ومنها حمام الباي مصطفى المسراتي بوهران - لم تشذ عن هذه القاعدة، فقد حافظت في بناءها على التركيبة المعمارية التقليدية المشكلة أساسا من القاعة الباردة والقاعة الدافئة والقاعة الساخنة إضافة إلى الفرناق، وهي التركيبة التي ورثت فكرتها عن الحضارات السابقة لاسيما اليونانية والرومانية، إلا أنها تطورت في إطار الدين وخضعت لقواعد صارمة ومضبوطة سواء التي وضعها الفقهاء أو التي أوصى بها محترفي البناء والتي تندرج ضمن إطار فقه العمران الاسلامي كما يعرف اليوم، شأنها في ذلك شأن باقي حمامات البلاد الإسلامية وفي مختلف عهودها.

تضارب المصالح

يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم تضارب في المصالح.

المصادر والمراجع

1.أصلان آبا.أ. (1978)، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة: أ.محمد عيسى، إسطنبول تركيا، مركز الابحاث التاريخية والفنون والثقافة الاسلامية باسطنبول.

2.الحداد.م.ح.(2002)، العمارة الاسلامية في أوروبا العثمانية، الطبعة الأولى، المجلد الأول، الكويت، جامعة الكويت.

3.العودي.ر.(2009)،نوفمبر، الحمام في إفريقيا: الدور والخصائص، المؤتمر الثامن لمدونة الآثار العثمانية حول العمارة المدنية في العهد العثماني: الدور والمدارس والحمامات، تونس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

4.المناوي.م.ع، (1987)، كتاب النزهة الزهية في أحكام الحاما الشرعية والطبية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية.

5.الوزان. ح.ب، (1983)، وصف إفريقيا، الطبعة الثانية، الجزء الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

6.باسيليو بابون مالدونادو، (2008)، العمارة الأندلسية: عمارة المياه، ترجمة: علي إبراهيم وعلي منوفي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

7.بلجوزي.ب، (2006)، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

8.بوتشيشة. ع، (2016)، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.

9.حسن.م.ز، (1981)، فنون الاسلام، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي.

10.دحدوح.ع، (2010)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.

11. راجعي.ز، (2007)، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

12.رزق.م.ع، (2000)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي.

13.سالم. ع.أ، (2011)، الآثار الاسلامية في مدينة سلا ورباط الفتح بالمملكة المغربية، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، دار نشر المعرفة.

14.شافعي.ف، (1970)، العمارة العربية في مصر الاسلامية: عصر الولاة، المجلد الأول، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية للكتاب.

15.شالر.و، (1982)، مذكرات شالر وليام، ترجمة: إسماعيل العربي، الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

16.طاهر.ع.أ، يوسف.م.ع، العمري. ح.ع، (2006)، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الاسلامية المختلفة –دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء، الطبعة الثانية، جدة السعودية، منظمة العواصم والمدن الاسلامية.

17.عبد الحفيظ. م.ع، (2007)، حمامات الاسكندرية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الاسكندرية، مصر، مكتبة الاسكندرية.

18.عثمان.م.ع، (2001)، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، الطبعة الأولى، زغوان، تونس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

19.حضري.ع، (2009)، حمامات القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بمدينة البليدة، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.

20.عقاب.م.ا، (1985)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة، الجزائر، جامعة الجزائر، الجزائر.

21.خروبي.ف، (2012)، الحمامات بباليك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

22.قرمان.ع. (2007)، المنشآت المدنية في مدينة مليانة في العهد العثماني، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

23.مبيضين.م، (2009)، ثقافة الترفيه والمدينة العربية في الأزمنة الحديثة: دمشق العثمانية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.

24.موساوي. ع.س، (1991)، الحمامات الجزائرية من العصر الاسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير، الجزائر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

25.الزياني. م.ي، (1978) دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، المؤسسة الوطنية للكتابن الجزائر.

26.Hontabat Don Harnaldo, (1926), « Description des place d'Oran », In B.S.G.O , Oran.

27.Macaulay, D. (2004). Naissance d'une Mosquée. (M.-C. Mapaula, Trad.) Paris, France: L'école des loisirs.

28.Marçais, G. (1975). L'Architecture musulmane d'Occident. Paris: Art et Métiers graphique.

ـ كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

علي بوتشيشة (2022)، الحمامات العامة بالجزائر خلال العهد العثماني؛ حمام الباي مصطفى المساراتي بوهران أنموذجا، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 14، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات 83-95.